تعال نجلس على عرشها بلقيس ..

ولا تحسب أنها مهمة يسيرة .. انها احدى معجزات التاريخ..

وليس عرش بلقيس المشهور هو الذى سنستمتع بالجلوس عليه فأغلب الظن أنه عرش آخر ، لان الملائكة نقلت العرش الشهير الى نبى الله سليمان .

وكان انتقال العرش الى سليمان ، أسهل من أن يشق سليمان طريقه الى مأرب ، حيث تعتصم بلقيس بعيدا عن أنظار العالم ، حاسبة أنها تعيش فى العالم .. كل العالم .

وألجأت ريح الشمال ، الهدهد الى أن يوغل فى الجنوب ،فاكتشف ملكا بهر القادم من عالم جند فيه الانس والجن والطير والنمل ... فوشى به الى سليمان بن داود .

وفشلت كل جهود بلقيس فى الاعتصام بعد أن جاءها نداء سليمان ولم يكن بوسعها الا ان تخرج للقاء من تطيع الريح اشارته.

أما نحن من عباد الله الذين لا يطيعنا انس ونرجو ألا نلتقى بالجن .. فان علينا أن نشق الطريق الى بلاط صاحبة الجلالة .

والسفر الى بلاطها ليس رحلة سياحية كتلك التى تقوم بها عجائز الامريكيات من وشنطن الى الكرنك ... بل هى مخاطرة ، وكفاح ، وتعلم ، واكتشاف ...

سائق الجيب الذى قادنا من « الحديدة » الى « معبر » كان يوقف السيارة ويهبط ليبحث على ضوء البطارية ، وأحيانا بعود ثقاب عن آثار الطريق ..

والطيار السويدى الذى قاد الطائرة من ذمار الى مأرب ، قذف بالخريطة من النافذة بعد أن ضل الطريق وكاد يفقد حياته بفضل « الخريطة » !

والتفت الينا صائحا .. « الخريطة تقول ان فى هذه البقعة جبل ارتفاعه خمسة آلاف قدم ، ولكن أنظروا .. أنا لم أر فى حياتى سهلا بهذا الانبساط فأين ذهب الجبل ؟ سرقه الانجليز أم أكلته الفيران ؟

ورغم ذلك فقد كان شعارنا « كل شىء فى سبيل العرش »

ومن ثم كان علينا ان نركب ٢٢ ساعة ، فى عربة جيب على طول طريق ، نحتته من الصخر الصلد ، أقدام الابل وحوافر الماعز وجئنا نحن نحاول ان نشقه بدابة حديدية ، تسير على أربع عجلات من الكاوتشوك القابل للالتهاب ، والانفجار ، بتأثير الاجسام الصلبة وما أكثرها وما أصلبها ..

كنا فى عربة جيب .. أنا وفشنفسكى وسائق يمنى اسمه توفيق فى حوالى العشرين من عمره ، قال فشنفسكى عنه .. أنه لو تعلم لكان أعظم طيار فى العالم ..!

والحق أنه كان كتلة أعصاب لم تغمض عينه قط ٢٢ ساعةمتواصلة فى عربة مكشوفة تسير على كافة أنواع الطرق فى العالم .. وتصعد مساقط جبلية ليس فيها أى انحدار بل تسقط رأسيا ! ورغم ذلك يتسلق توفيق بعربته الجيب ، كأبرع لاعب سيرك ثم يهبط الى أرض رملية تسوخ فيها العجلات ، ونضطر الى النزول نقتلع السيارة ونحملها حملا حتى نجد بضعة أمتار متماسكة ...

ويشارك الموتور فى المهرجان فيتوقف مرة كل نصف ساعة

وينزل توفيق ، ويبدأ فى هدوء ، وبدون كلمة تذمر واحدة ، يصلح السيارة ٠ وكان من الطبيعى أن نتخلف عن باقى السيارات مسافة طويلة ، ووقفنا وحدنا أكثر من مرة فوق قمة الجبل وظلمة الليل حولنا ٠٠٠ لا يبعث الاطمئنان فى نفوسنا الا عواء الذئاب ، فنوقن أن الحياة يمكن أن تستمر هنا أيضا ٠٠٠

وسألت توفيق لماذا تتوقف السيارة كثيرا ٠٠
فأجاب اليمنى : « دى حديد يا حضرة مش بنى آدم ٠٠! »

وأذهلتنى الاجابة البارعة ، حقا ان طاقة الانسان على تحمل المتاعب والآلام ، لا يمكن أن يفوقها أى نوع من الصلب فى العالم٠٠

ولا تظن أن الآلام ستصاحبك طول الطريق ٠٠ بالعكس ، بعد أربع ساعات ، لن تحس بشىء على اطلاق ، فالاحساس بالالم ذاته له حدود ، وأنت بحاجة الى شىء لا يشكو ، حتى تستطيع ان تشكو له الالم ٠٠ أما اذا سيطرت الآلام على رأسك ، وذراعك وساقيك، وبطنك وصدرك وكل شىء حتى موتور العربة وعينى السائق ، وانفصلت جميع فقرات الظهر ٠٠! فسينتهى عندئذ الالم وان استمر النبض ٠٠٠ وأسأل « معبر » ولا تسأل طبيب ، فأقرب طبيب على بعد ألف ميل على الاقل ٠٠٠

وليس منا من سينسى « معبر » ٠٠

واليمنيون يقولون أنها سميت كذلك ، لانه عندها تفترق الطرق الى صنعاء شمالا ، أو الى عدن جنوبا ، ولكنى أعتقد غير ذلك ،فعندها تفترق الطرق اما الى جنة الخلد أو الى الحياة الشقية التى نحياها ، فى هذه الدنيا الفانية

وللاسف نحن نفضل هذه الحياة ٠٠٠ أو هكذا كنا ٠٠ والسيارة الجيب تدور بنا كالنحلة فى « معاصر » الطريق ٠٠

ومعاصر جمع معصر أى منعطف بلغة اليمن ٠٠ ولليمنيين عادة

عجيبة فى تعريف هذه « المعاصر » ، اذ أنهم يطلقون على المنعطفات أسماء الرواد الاوائل ·· السائقين الذين انقلبت سياراتهم عند هذه المنعطفات !

وتسمع السائق يقول ·· « أمامنا معصر عبد الرحمن الصنعاوى »، وتعرف أنه اسم الشهيد الذى انقلبت سيارته منذ ثلاث سنوات ··

ثم معصر على الطيفى ··

معصر حميد الحداد

وتحس فى كل دقيقة ، وعند كل منعطف أنهم فى الرحلة القادمة سيقولون ·· « معصر بعثة الصحافة المصرية » ··

ويزداد شغفك بلقاء صاحبة الجلالة ، التى صانت عرشها وجمالها ··· بكل هذه المعاصر ، وامتنعت فى الجبال ، وتفهم الحكمة الالاهية، التى جعلت الطير وحده ـ فى قصة الهدهد ـ هو وسيلة الوصول الى عرش بلقيس ·

ولكننا اخترنا طريق السيارات والمعاصر ··

وتنطبع فى نفسى ثلاث ذكريات لمعبر ··

عند ما وصلنا لم يكن عامل « معبر » ـ وهو لقب الحاكم ـ قد استعد لاستقبالنا ··· ورأى مرافق البعثة السيد احمد الشامى أن الطعام والمبيت والاستقبال ، ليست كما يليق ·· فأبرق الى الامام « وصلنا معبر فلم نجد بها جرعة ماء ··· يكون اخطاركم للتصرف » وقبل ساعات جاء الرد الى عامل معبر ···

أخطرنا « الولد » الشامى أنكم أسأتم استقبال ضيوفنا يكون حضوركم الينا ·· »

وفهمنا أن معنى هذا الامر أن يتوجه العامل ماشيا الى صنعاء ··

ودفعنى ما شاهدته من اضطراب المحيطين بالعامل الى أن أناقش السيد « الشامى » وهو الثائر المفكر الحر فى حكمة عمله ·· ولكنه

أجابنى اجابة ملتوية عن الجيل القديم والجديد ·· وسمعة البلاد ··

وتوسدت الارض محاولا النوم ، وأنا أعانى آلاما فى جوفى ، بعد أن قررنا الامتناع عن احدى الوظائف الطبيعية ، لما علمنا أن السجن يقع تحت دورة المياه مباشرة ولا يفصل بينهما حجاب ··

أما الثالثة ، فكانت على الطريق ···

كنا ثلاثة كما ذكرت ·· الروسى عن يمينى والسائق اليمنى عن يسارى ··· وكنت منهمكا فى الحديث مع فشنفسكى ·· فالحق أنه رغم عروبتنا أنا وتوفيق ، فقد كان أسهل أن أتكلم مع الروسى ،الذى يجمعنى به أكثر من جذر ثقافى ··· اذا تحدثنا فى السياسة نستطيع أن نستشهد بفقرات من أحاديث بولجانين ونهرو بل حتى سنجمان رى والمرحوم ماج سانى سانى ، وبوسعنا أن نرجع الى آراء ماركس وبرنشتين ورسل وبوذا ····

وحتى اذا جرنا الحديث الى الشعر والادب ومستقبل اللغة العربية ··· فنحن كمثقفين نبعا من العلم الغربى ، والمصادر الغربية نستطيع أن نتقارب فى مفاهيمنا ـ وبرغمى ـ عنى مع أخى اليمنى ، الذى التقط كلماته بصعوبة ونضطر الى التفاهم بالعربية الفصحى ، محاولا أن أكرر جميع المترادفات ، التى أحفظها ، حتى أجد اللفظ المستخدم فى اليمن ··

لقد أقام الاستعمار بيننا هوة ثقافية ، ليس من اليسير تخطيها بمجرد العواطف الحسنة ···

ومعركتنا الحالية تجعل من أهدافها خلق الوحدة الثقافية بين جماهير شعبنا العربى ·· هذا الشعب الذى عاش قرونا فى وحدة ثقافية متماسكة مزدهرة ·· ثم جاء الاستمار فجعل اخواننا فى أقصى الغرب ، يتفاهمون بالفرنسية ·· وحرمنا من كل ثقافة وتعليم، الا ما انتزعناه انتزاعا ···

ومن أجل ذلك ـ وبرغمى ـ كنت أتناقش مع فشنفسكى علنـــا تنسى محنة السفر ..

و « الجيب » اللعين لم يخترع أبدا لتركبه أجسام حية أو صلبة، بل صنع أساسا للمواد الكاوتشوكية والساعات السويسرى الغير قابلة للكسر ، وان كانت ساعتى الوتربروف ، ضـد الـكسر ، قد توقفت عن العمل اثر « هبدة » هوينا فيها من قمة الجبل الى السفح مسافة قدرتها ساعة السقوط بكيلو متر .. وليس هناك قوة تقنعنى الآن أنها تقل عن عشرة أمتار .. ولكى يصدقنا الناس لنقل أنها خمسة !

والمعدل العام للمطبات بين متر وثلاثة أمتار وعلى مسافات تتراوح بين عشرة أمتار وخمسة عشر !

وفوق هذا العباب الكفيل بخلط ذرات العظـام ، وليس الفـكر وحده ، كنا نتحدث أنا وفشنفسكى ، عند ما التقطت أذن توفيـق كلمة « بور سعيد » وسط حديثى بالانجليزية .. ولم يلتفت توفيق ولا ترك عجلة القيادة .. فقط لمعت عيناه وهـو يقول : « أنا كـل ما أسمع غنوة بور سعيد أبكى ... »

وانفتحت الارض من تحتنا ورأيتنى أهوى آلاف الاميال ..وتدور فى رأسى دوامات هائلة .. ويتناثر كل شىء ...
.. التأييد السوفيتى .. المتطوعون الـروس .. الصـواريخ الموجهة .. موقف أندونيسيا الباسل .. قرار الامم المتحـدة ... عشرون مليونا من المتطوعين الصينيين ... تهديد سيلان بالانفصال عن الكومنولث ...

كل هذه المواقف المجيدة التى لعبت دورا حاسمـا فى انتصـار شعبنا ...

ورغم ذلك فقد أحسست أن كل هذه التأييدات ، تتـوارى أمام دمعة أخى اليمنى ..

انها أنبل وأشرف وأعظم من كل تأييد ..

والتصقت به عاجزا عن الكلام .. لا أجد ألفاظا يمكن أن تعبر عما أحس به نحوه ..

وكان الروسى قد سمع « بور سعيد » وسألنى ماذا يقول توفيق؟

ولم أجب ..

وكرر السؤال ...

فلم أسمعه ...

والتفت الى فرأى الدمع فى عينى .. وأحس برهبة اللحظة فلزم الصمت ...

وأحسست كأن قلبى وقلب أخى العربى قد تعانقا .. ان أخوتنا أكبر وأقوى من أن تنفصم ..

وهذه الدموع التى يذرفها اليمنى من أجل بور سعيد .. ان لم تنبت نصرا ووحدة فما أجدب هذا العالم .. وأبعده عن أن يثمر خيرا قط ..

وساد الصمت ، ومضت السيارة ترتفع بنا وتهوى .. وقد التصقت بتوفيق وبدا أن آلاف الخيوط تجمعنا معا .. خيوط أكبر من الثقافة واللغة .. بل وكل القضايا الفكرية ..

***

ووصلنا ذمار وهى وظفار ومأرب العواصم الثلاث الباقية من مملكة الحميريين .. الذين انتقلوا من مأرب الى ظفار وذمار ... باضمحلال الحضارة حتى تلاشوا فى رمال الشمال ..

واليمنيون ينطقون الدال ذالا والضاد ظاء فدمار تنطق ذمار وظفار أصلها ضفار ...

وعند ما وصلنا ذمار تذكرت قوله تعالى :

« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان ، عن يمين وشمال ، كلوا

من رزق ربكم ·· واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور · »

هذه المساحات الخرافية الاتساع ، التى تمتد آلاف الكيلومترات، فى استواء تام ، رغم ان يدا لم تشقها منـذ ألفين من السنين على أقل تقدير ·· والتى تمتاز بتربة ناعمة ، الى درجة مدهشة ، تعادل ان لم تفق تربة النيل ··

هذه الارض الخصبة التى تتناثر فيها اليوم بضع شجيرات من الاثيل والسدر ·· كانت يوما من الايام جنات خضراء يسير فيهـا الناس أياما وليال آمنين ·· لما بها من قرى عامرة وحضارة وخيرات ·· هذه الارض القاحلة ·· كانت تسقى من السد ·· سد مأرب وسد العرمرم ··

ثم جاء « الفأر » اللعين ، أحقر وأتفه أفراد المملكة الحيوانية ، وأعمل أسنانه فى جدار السد الجبـار فى صبر وبدون ان يحس به أحد ··

أغلب الظن أنه كان يأكل بضعة مليمترات فى كل ليلة ·· ورغم ذلك فقد انهار السد ·

« فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ·· »

وفى كل عام يهبط سيل العرم من أعالى الجبال فلا تحتجزه سدود ·· ويطوى الصحراء القاحلة فى أيام ·· ثم تطـويه الصحراء فى جوفها ·· حتى يتخم هذا الجوف فيطفح ينابيع حارة وباردة ··

لقد رأينا البئر الذى تشرب منه ذمار التى يربو تعدادها على المائة ألف منذ مئات الاعوام ·· رأينا الماء فيه على بعد خمسة أمتـار من سطح الارض · والماء يرفع بقرب ، معلقة فى حمـير ، تدير دولاب البئر بطريقة مخالفة تماما لطريقة ادارة السواقى عندنا ·· فبدلا من الدوران فى دائرة لا نهاية لها ، تروح الحمير ، وترتد على أعقابها ،

فى خط رأسى ..وعقب السيل يهبط أحفاد السبئيين من رءوس الجبال حيث لا يزالون ينحتون من الصخر بيوتا تمتاز بالنظافة والاناقة ، يهبط أهالى ذمار ، وظفار ، فيزرعون الذرة والدخان والشعير ، وعند السفح يزرعون البن ..ولعنه اليمن .. القات ..

وهم لا يحتاجون الى سقاية .. فماء المطر يكفى لزراعتين وربما لثلاث ..

ولا تسرف فى الخيال وتتصور ماذا يحدث لو عقد قران هذه الارض الخصبة والمياه الغزيرة وكانت واسطة العقد طلمبة ميكانيكية ..

ان اليمن عندئذ تستطيع أن تسد الفراغ فى بطون شعوب الشرق الاوسط ..

وذمار اليوم هى مركز ... أو كما يقولون بلغة اليمن كرسى المذهب الزيدى .. وهو المذهب الرسمى للملكة الهاشمية..وينسب للامام زيد بن على زين العابدين ، الذكر الوحيد من أولاد على ؛ الذى نجا من مذبحة كربلاء .

وليس فى ذمار من الاماكن الاثرية ، الا قبر الامام يحيى بن حمزة أحد مؤسسى المذهب الزيدى ، والمتوفى سنة ٧٤٩ هجرية ..مؤلف كتاب البلاغة ... وتتوارث الاشراف على قبره عائلة الاكوع ... وينتشر المذهب الزيدى فى الجنوب ، بينما يدين الشمال بالمذهب الشافعى ، ومن المؤسف ان هناك محاولات دائمة لاثارة شقاق بين الزيدية والشوافع ...

وفى جبال « ذمار » يوجد الكبريت .. ومنذ مئات السنين والاهالى يستخرجونه .. وتبحث الحكومة الآن ثلاثة عروض من روسيا وأمريكا والمانيا ، لانشاء مصنعى كبريت وزجاج ..

***

وانطلقت بنا السيارة من ذمار الى مأرب وفى الجبال عند أبوابه

مأرب قابلتنا راعية حسناء ، ابنة جبال عجفاء جائعة ·· ولكن ··· عيناها ··· انك لا تنساهما أبدا ··· وألقيت بروحى فى عينيها ، بينما راح الروسى خطيب الممثلة الشهيرة يتأملهما فى انبهار شديد ليصدر قرارا بأن « أهالى هذه البلاد يمتازون بجمال عيونهم »

ولم أسمعه ·· كنت أفهم فى هذه اللحظة كل ما حفظته وعشت أردده كالببغاء ، عن العيون التى بطرفها حور ، وعيون المها ، ولحظات طرفك أم سهام أبيك ···

ان راعية الجبال ، تمتلك عيونا لو ظهرت على الشاشة ، لادمت قلوب سائر الرجال من سن السابعة الى التسعين ··

ومن يدرى ؟

ربما كانت حفيدة احدى وصيفات الشرف فى بلاط بلقيس ··· ولعل الهدهد ، الذى استعصى على الشباك،أصابه سهم من لواحظها، فنسى اجتماع سليمان بن داود ·· فلنسرع اذن الى مأرب ··

وتقع مأرب الحالية فوق جبل ارتفاعه حوالى ١٥٠٠ قدم وتعدادها يزيد عن ٢٠٫٠٠٠ ، مبانيها كلها من الحجر ·· الا عدد قليل من القش وفروع الشجر ··

وفوجئنا بعدد كبير من المكاتب والاسرة يزيد عن عدد الحجرات فى قصر الضيافة والارجح أنهـــا موجدة لاستقبال السواح ، وليست مستوردة من عدن فى الليلة الماضية، ، حتى لا تتكرر مأساة عامل معبر ، كما زعم البعض ·

وان كنا قد عرفنا أن السواح لا يترددون كثيرا على « مأرب » ·

والحق أنها ليست مستعدة بعـــد لاستقبال السواح بل هى فى حاجة الى مكتشفين ···

وفى دار الضيافة وجدنا « حنفيات حقيقية » ··· وهـذا أقل ما يجب فى المدينة التى بنت أول وأضخم خزان فى العالم ··

وكنا نسير فى « مأرب » فوق مدينة كاملة ، مدينة تطل بألف عين، وألف رأس ٠٠وتمد أذرعها مستصرخة كل الذين يهمهم تاريخ هذه البقعة من العالم العربى أن يمدوا أيديهم ، ويزيحوا عن صدرها كابوس الرمال ، حتى تظهر للعالم عاصمة الملكة التى وصفها الهدهد السعيد :

« انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم»

***

٠٠٠٠ وفى مأرب عشت ساعات سعيدة ، رضيت فيها كل الرضا ، وأحسست بالفخر كمصرى ٠٠٠

رأيتهم هناك يتحدثون عن أمريكى ومصرى ، كلاهما زار اليمن وعاش فى مدينة مأرب ٠٠٠

أما المصرى فهو الدكتور احمد فخرى مؤلف المرجع الوحيد عن المدينة المدفونة ، التى كان الدكتور جلازر الالمانى هو أول من نبه العالم اليها منذ ٨٠ عاما ٠٠٠

واليمنيون يكنون للعالم المصرى أسمى ذكريات الحب والتقدير٠٠ ويروون عن بطولته وتحمله ، وقدرته على الانسجام مع روح البلاد وتقاليدها ، قصصا ٠٠ بل أساطير ترفع رأس كل مصرى ٠٠

ولكن سكان مأرب ، لديهم قصص من نوع آخر ٠٠

فقد استجابت الحكومة اليمنية لدعوة رجال العلم وسمحت لامريكى هو المستر « وندل فيليبس » بالكشف عن آثار بلقيس ٠٠٠

وجاء الامريكى ٠٠

وللأسف بدأ يبحث عن البترول ، ويرسم خريطة لليمن ويحرض الاهالى على الهروب الى عدن للعمل مع الانجليز ٠٠ ثم أحضر حرسا مسلحا من رجال المحميات وحاصر حاكم مأرب ٠٠ وبدأ فى تهريب التماثيل الذهبية النادرة الى عدن ٠

واستنجد حاكم مأرب بالامام فى صنعاء ·· وقبل أن تصل النجدة كان الامريكى قد فر الى عدن ليهاجم البرابرة الذين يرفضون أن تسرق آثارهم وتنهب ثرواتهم ·· وتنتهك نظمهم وحرياتهم باسم المدنية ·· ومن عدن انتقل الى مسقط حيث منحه السلطان حق التنقيب عن الآثار فى ظفار بالاضافة الى حق البحث عن البترول لشركة سنتى سيرفس الامريكية ··!

وبقيت المدينة ثاوية تحت التراب ·· فى انتظار عالم حقيقى ·· من احدى الجامعات ، وليس سارق آثار ، مندوب عصابات لبترول خريج المخابرات الاستعمارية ··

***

وعلى طول الطريق الى سد مأرب ترى آثار الفخار والاحجار الدقيقة النحت عليها كتابات حميرية بالخط المسمارى ، ويقول المستر « وين ويللى » انها شديدة الشبه باللغة الحبشية الحالية ··· وتناثر بقايا صخور من الجرانيت والرخام التى لا وجود لها فى الجبال المجاورة ، مما يشير الى أن قصور المدينة البائدة كانت تستورد ضروريات الاناقة من خارج البلاد · ومن يدرى ـ الا عالم الآثار ـ ربما حملت السفن الصخور من أسوان ، وسارت فى قناة سيزوستريس الى البحر الاحمر ، ومنه الى شواطىء اليمن ··· وربما أقبلت أخرى من شواطىء ايطاليا تحمل الرخام ، وقطعت البحر الابيض ثم سارت فى النيل حتى القناة ، ومنه الى البحر الاحمر قبل أن يولد فرديناند ديلسبس بعشرين قرنا ·

والسد الحالى عبارة عن جدارين فى الجنوب والشمال ، يمتدان بين

جبلين يسميان جبال « البلج » ... وفى الجدار الشمالى ثقب كبير . لعله من فعل أشهر فأر فى التاريخ .

وأغلب الظن أن الحضارة السبئية بعد أن شاخت بفعل الترف واكتشاف القات .. أو لطول فترات الجفاف .. أو ربما لذلك كله، قل اهتمام الحكام بترميم السد ، حتى أخذ فى الانهيار ، ثم كان السيل المفاجىء العنيف ، الذى قضى عليه .

وفى قصة الفأر مغزى تعليمى عظيم ، يشير الى سم الاهمال الذى يسرى فى بطء وبكميات قليلة ، قد لا يحس بها ، ولكنها تدمر الحضارات .

وارتفاع السد الباقى حتى الآن حوالى ٨٠ مترا ويتكون من أحجار ضخمة طولها مترين ، فى عرض متر ونصف ، مغطاة فى أجزاء كثيرة بطلاء ناعم يشبه الى حد كبير ، التربة المحيطة بالخزان ، والتى يمكن أن تكون نوعا من الطفل الممتاز ..

وطول السد حوالى كيلو مترين ، واذا قدرنا أن الوادى يمتد خلفه الى مئات الكيلو مترات ، أمكننا تصور الكمية الهائلة من المياه التى كان بوسع هذا السد أن يحتجزها كلما هطلت المزن ، وأقبل السيل .

وكانت المياه تنتقل بواسطة قنوات الى خزان مساعد هو سد العرمرم ولا تزال بقاياه موجودة الى الآن ، ومنهما تخرج القنوات التى تسقى جنات عدن ، واليمن السعيدة ..

وكلنا نشعر بالفخر فى مقابر أجدادنا .. وبقايا حضاراتهم عند ما نحس أن لنا جذورا تضرب فى أعماق التاريخ .. واسنا زبدا يطفو على السطح ...

وتملكت النشوة السيد احمد الشامى .. وأصر على أن يعقد مقارنة بين حضارة السبئيين ، التى تركت خزانات وسدودا ومدنا للعمران والحياة والناس على حد قوله ، وبين حضارة الفراعنه ، التى تركت مقابر وأهراما وتماثيل !

ورفضت أن أدخل فى نقاش ، حول الفن للفن أو الفن للحياة ،

ورفضت أن أدخل فى مفاضله لاننى أعتبر تاريخى ممتد الجذور فى تاريخ العرب والفراعنة على حد سواء ..

واذا سرنا عشرة كيلو مرات فسنجـــد معبد الشمس أو عرش بلقيس ، كما يسميه الأهالى ولم يتم كشفه بعد .

وهو على شكل دائرة .. ربما ليماثل قرص الشمس الذى كان يعبده قوم بلقيس ، حتى أفشى سرهم الهدهـد ... ويحيط به سور من صخر البلج ، مطلى بطبقة ناعمة وفى الجهـة الشرقية ثمانى أعمده مربعة ، أرتفاع العمود حوالى سبعة أمتار . أما من الغرب ، فلا يظهر سوى حطام ثلاثة أعمدة .. وفى الجنوب عمود واحد ..

ويظهر حائطان ، من الشرق والغرب بهما نوافذ مستديرة مزخرفة بطريقة الثقوب الكاذبة .. فى كل نافذة أربعة عشر ثقبا ..ومدخل المعبد من ناحية الغرب ، ربما لاستقبال الشمس المشرقة عند دخول الموكب .. وتوجد آثار بوابة كبيرة أمامها سلم على درجاته الباقية نقوش بارزة ، والدرجات مصنوعة من الحديد ...

أما من الشرق .. فهنـاك شبه منبر .. لعله السر فى تسميته بعرش بلقيس ..

ويمكنك الآن بعد كل ما تجشمت ، ان تجلس على العرش أو المنبر فسترى الشمس الغاربة ، تشير الى حضارة ذوت ...

وأسفل العرش تسع درجات صخرية ، أفضل بكثير من السلالم الحالية فى مدن اليمن المسكونة ..

وقبل أن نهبط درجات عرش الملكة الفاتنة نلقى نظرة الوداع على عشرات بل مئات الفتحات التى تضم كل منهـا كنوزا من الآثار ، والنفائس ، التى لا تقدر بمال ، والتى لا تحتاج فى ظهورها لاكثر من بعثة آثار ، ومائة يمنى ، بمقاطف ومعاول ..

وكل يمنى فى مأرب يسأل لماذا لا تحتضن الجامعة العربية مشروعا للتنقيب عن الآثار فى اليمن ..

وقبل أن نردع أخصب وأصلح أرض فى العالم للزراعة ٠٠لايفوت صديقنا الشامى الحديث عن الهذالى العالم الجغرافى اليمنى ، مؤلف كتاب الاكليل والذى أثبت بالمنطق وجود أمريكا قبل أن يكتشفها كريستوفر كولومبس ٠٠

ومن المؤسف أن جميع أجزاء الكتاب قد عثر عليها الا الجزء الخاص بتاريخ اليمن ٠٠ وهكذا تسخر الاقدار ٠٠

ومرة ثانية ينتشى الشامى بمجد الاباء فيقول أن أحد ملوك اليمن وكان اسمه « أفريقيش » فتح أفريقيا كلها وأخضعها لسلطانه ومن ثم سميت أفريقيا تيمنا به ٠٠!

وفى حدود معلوماتى التاريخية أعرف أن سيف بن ذى يزن بن تبع قد فتح الحبشة والسودان ومصر وهو الذى شق النيل من جبال القمر بمعونة عفريت شديد القوة اسمه « الرهق الاسود » وبمشورة الساحرة المؤمنة الحكيمة « عاقلة » التى أهدته كتاب النيل ٠٠ وهو كتاب آخر غير الذى ألفه اميل لودفيغ ٠٠ أما فتوحات أفريقيش فلم تكن مقررة علينا ٠٠!

وقبل أن تأخذك الحيرة فى هذه الحضارة الشامخة التى دمرها فأر ٠٠ وتتساءل ما الذى يمنعها أن تبعث ؟٠٠ يقبل رسول من بعيد ، ليخبر عامل مأرب وهو نفسه حاكم حريب ، ان الانجليز قد شنوا هجوما على القرى اليمنية فى حريب ٠

ونعلم ان علينا ان نعود فورا حتى يتصل الحاكم بالمسئولين ، فى صنعاء ثم نبرق نحن الى وكالات الانباء ، ويسجل مندوب اليمن احتجاجا جديدا فى الامم المتحدة ٠٠ ويعلن سلوين لويد ان حكومة اليمن الاقطاعية ذات الميول الشيوعية ! تثير القلاقل ٠٠٠

ويتحدث دلاس عن وصول شحنة جديدة من الاسلحة لليمن الموالية للسوفييت ٠٠٠٠

وهكذا يمنع الانجليز اليمن من المضى فى مشاريع العمـران ·· بينما يسرق الامريكى الآثار ··

فوداعا يا صاحبة الجلالة ! حتى نلتقى قريبا فى دار الآثار اليمنية، يوم يرفع كابوس الاستعمار عن عالمنا العربى ··

● باجـل

وأحسب أنه من المستحيل أن تذهب الى ميدان القتال ، قبل ان نلقى نظرة على أضخم وأول تجربة من نوعها فى تاريخ اليمن ، وأعنى مصنع الغزل والنسج فى باجل ··

واذا كانت البيانات صادقة ·· والتواريخ فى اليمن تتفـق مـع التواريخ فى القاهرة ·· فأغلب الظن أن ماكينات المصنع قد دارت الآن ·· وربا ارتدى اليمنيون لاول مرة ثيابا مغزولة ومنسوجة، بماكينات تدور فى داخل اليمن ··

على أية حال ··· لم تكن الماكينات قد دارت بعد ، عند ما تسللنا أنا وفشنفسكى والقاضى « محمد السياغى » سـكرتير مصنع الغزل والنسيج اذ أن مدير المصنع هو الشريف احمد بن عبد الله الضمينى عامل باجل شخصيا ··· وأحاط بنا مهندسا المصنع وهما لبنانيان ··· كرم طشجيان خبير الآلات ·· وفؤاد مردملى خبير الصبـاغة بحملان المشاعل وكان فى المصنع عدد من الخبراء الفرنسيين ، ولكن حكومة اليمن استغنت عن خدماتهم عند ما وقع العدوان الثلاثى على مصر وبقى اللبنانيان ···

وقد تم تدريب العمال فى مدرسة صناعية للنسيج بصنعاء يقوم بالتدريس فيها أساتذة مصريون ··

وفى المصنع ستة أقسام للغزل بها ٣٥٠٠ مغزل ، و ٩٠ دولاب نسيج ٠٠ ويستطيع المصنع أن ينتج كيلو مترا من القماش فى كل ثمانى ساعات ٠٠٠ وبمخازن المصنع ٢٠ طنا من القطن ، تستعد لاستقبالها ٢٤ ماشطة ، وجميع الآلات رنسية أتوماتيكية يديرها مولدان كهربائيان ، قوة المولد ٤٠٠ حصان ٠٠٠ وتستطيع هذه المولدات ، اذا ما وافق الامام ، أن تنير منازل « باجل » فضلا عن ادارة المصنع ٠

ولن تحتاج الانوال لاستيراد غزل من الخارج اذ تكفيها المغازل ٠٠ كذلك القطن ممكن استيراده من مزارعه فى « المرأوعة » التى تبعد ثلاثين كيلو مترا ٠٠ عن « باجل » أو من « زبيد » التى تقع على ضعف المسافة ٠٠

والوقاية الصحية فى المصنع تامة الى حد بعيد ٠